إشكالية تحديد المصطلح في الادب الشعبي

(الحكاية نموذجا)

أ. فتيحة بلحاجي

- باحثة في الدراسات العليا جامعة تلمسان -

ملخص:

ان الاشكالية التي نحن بصدد الكشف عن حيثياتها تكمن في ابراز تجليات ومظاهر اضطراب المصطلح في الادب الشعبي من خلال رصد بعض النماذج المصطلحية المتداولة على مصطلح الحكاية الشعبية والوقوف على ابعادها المعرفية من خلال استعراض علل هذا الاضطراب بمساءلة الخلفيات التاريخية والمعرفية التي اثرت باشكال مختلفة ومن زوايا متعددة في خلق هذا الاضطراب والتضارب على مستوى المنظومة المصطلحية المتداولة في الادب الشعبي عامة ومن ثمة تحديد مصطلحا للحكاية الشعبية خاصة والتي ما تزال تتخبط في فوضى المصطلحات المتداخلة في بعضها البعض ضمن القصص الشعبي.

Résumé de l'article 'Problématique de la terminologie dans la littérature populaire (le conte comme modèle)

La Problématique que nous somme entrain de divulguer ses propres mérites réside dans la mise en évidence des manifestations et des aspects du trouble du terme dans la littérature populaire à travers le suivi de certains modèles terminologiques répandus sur le terme du conte folklorique et s'arrêter sur ses dimensions cognitives à travers un examen de tous les maux de ce trouble par le questionnement des contextes historiques et cognitives qui ont agi sous diverses formes et sous plusieurs angles dans la création de ce désordre et cette l'incohérence au niveau du système terminologique répandu dans la littérature populaire en général , et de là déterminer une terminologie

propre au conte folklorique en particulier et qui est encore embourbé dans le chaos du chevauchement des termes dans les récits populaires

كثيرا ما نقرا او نسمع بعض المصطلحات التي نعتقد انها تحتاج منا الى اعادة النظر في كيفية استخدامها خاصة من الناحية اللغوية على صعيد التطبيق العملي سواء من حيث المعنى المراد توصيله او شكل المصطلح او مضمونه الحرفي او المجازي او التعبيري او التصويري باعتبار ان المصطلح لفظا يطلق للدلالة على مفهوم معين عن **طريق الاصطلاح (الاتفاق) بين الجماعة اللغوية على تلك الدلالة المرادة التي تربط بين** اللفظ (الدال)والمفهوم (المدلول) لمناسبة بينهما[1] فان جوهر المشكلة –كما يتصورها البحث- هو الاتفاق بين الجماعة والاسس والمبادئ التي يقوم عليها هذا هو تعبير خاص ضيق في دلالته المتخصصة وواضح الى اقصى درجة ممكنة وله ما يقابله الاتفاق وسبل تحقيقه.

ان المصطلح كما يجمع علماء المصطلح على تعريفه "هو مفهوم مفرد او عبارة مركبةاستقر معناها او بالأحرى استخدامها وحدد في وضوح في اللغات الاخرى ويرد دائما في سياق النظام الخاص بالمصطلحات فرع محدد فيتحقق بذلك وضوحهالضروري"[2] ولعل من شان هذه المفردة او العبارة المركبة ان تنزاح عن دلالتها المعجمية لتؤطر تصورات فكرية وتسميها في اطار معين حيث تقوى على تجسيد وضبط المفاهيم التي تنتجها ممارسة ما في لحظات معينة.[3]

فالمصطلح اذن هو وعاء لغوي ضخم ومستودع جامع يحتوي في داخله "المناهج والدلالات والحقائق والمكونات التي تعكس المخزون الفكري و الثقافي لذاكرة الامة.

واللغة العربية – كغيرها من اللغات – لديها القدرة على استيعاب المفاهيم المستحدثة أيا كانت والتعبير عنها بل هي بالتأكيد اقدر واطوع لأسباب لغوية وحضارية وادلة تاريخية واجتماعية [4]- "فحين توافرت لشعبها اسباب النهوض في العهود القديمة ....و سعت العلوم والمعارف التي ذاعت اذ ذاك ولم تقصر عن التعبير عن شيء منها ".[5]

وقد ارتضى المتخصصون في علم الاصطلاح تعريفا له يتميز بالدقة وبانه "الرمز اللغوي المحدد لمفهوم واحد"[6] مؤكدين انه يقوم على دعامتين هما .' الرمز اللغوي والمفهوم .فالمفهوم عرفه فيلبربقوله."انه عبارة عن بناء عقلي –فكري مشتق من شيء

معين فهو –بإيجاز- الصورة الذهنية لشيء معين موجود في العالم الخارجي او الداخلي" واضاف "ولكي نبلغ هذا البناء العقلي –المفهوم- في اتصالاتنا يتم تعيين رمز له ليدل عليه [7].

واهتم علماء المصطلح ببيان المقصود بالرمز اللغوي الدال على المفهوم ففرقوا بين ثلاثة انواع من الرموز اللغوية وهي .' الكلمة –المصطلح –والقاموس(المذخر اللغوي) فقالوا .'ان الكلمة يمكن ان تأخذ عدة معان او ظلال معان غير محددة ويمكن استخدامها في تسمية الاشياء وتعتمد في ظهور معناها على السياق.

اما المصطلح فرمز لغوي محدد لمفهوم معين اي ان معناه هو المفهوم الذي يدل عليه هذا المصطلح وتعتمد درجة وضوح معناه على دقة موضع المفهوم ضمن نظام المفاهيم ذات العلاقة .

اما كلمة القاموس فغالبا ما تكون مصطلحا او اسما يستعمل لاسترجاع المعلومات او فهرستها في نظام خاص ويعتمد معناها على نظام المعلومات ذات العلاقة وتستند هذه الاسماء الى مسمياتها المنفردة لا الى منظومة المفاهيم[8] والمسميات هي الاشياء المحسوسة الحقيقية الموجودة في العالم الخارجي او الداخلي اما المفاهيم فصور ذهنية لتلك الاشياء الموجودة.كما يجب ان تكون هناك علاقة منطقية بين المصطلح ومفهومه وهذه العلاقة منظمة "لكن لا يشترط وجود هذه العلاقة بين الاسم والمسمى[9] فقد نطلق اسم صالح على شخص او مسمى وقد لا يكون بالضرورة صالحا. يقول عبد السلام المسدي "ان قضية المصطلحات تمثل احدى المعضلات القائمة في واقع الفكر العربي المعاصر منذ انبعاث نهضته الحديثة"[10] فالملاحظ ان فوضى المصطلحات تعكس ايضا تداخل النزعات الفنية الغربية وبقاء الناقد العربي في طور الهشاشة واللهاث حيث تتسارع حركة الفن المعاصر وتتداخل نزعات الفن الراهن دون ان يستطيعا هضم هذه التجارب ودراستها للوقوف على خصوصيتها قبل السعي الى ترجمتها.

يذكر قاسم محمد المومني في هذا الشأن انه ليس كل اضطراب في دلالة المصطلح بناجم عن الترجمة .ان مثل هذا الاضطراب يمكن ان يكون محصلة لعدم وضوح دلالة المصطلح في لغته الاصلية فيداخل الغموض والاضطراب- جراء ذلك- المصطلح في اللغة المنقول اليها [11] ولا يتوقف هذا الاضطراب عند حدود قصور الفهم بل

تتقلب احيانا وفرة المصطلحات للدلالة على مفهوم واحد الى اضطراب اقسى الى ما يثيره في المتخاطبين والكتاب على السواء من معضلات في التواصل[12].

ان مشكل توحيد المصطلح العربي وسبل نشره مشكلة قديمة حديثة قائمة متجددة يبدو انها استعصت على الحل او هي كذلك حيث لاحظ الامي مصطفى الشهابي في الخمسينيات ان الشعور بضرورة توحيد المصطلحات العلمية والادبية اصبح في البلاد العربية شعورا عاما والآراء متضاربة في الوسائل التي يجب التوسل بها لبلوغ هذه الغاية[13] .بينما يدعو ابو اسعد[14] الى قبول المصطلحات العامية لأنها تثري الفصحى وتسد نقصا حاصلا لاسيما ان كانت هذه الالفاظ العامية يمكن تهذيبها وتفصيحها ورد اعتبارها بإرجاعها الى اصل فصيح لان استعمالها خير واحسن من السماح لألفاظ وتعابير اعجمية بدخول قاموس استعمالنا ومصطلحاتنا هذا ان توفر شرط امكان رد اللفظية العامية الى اصل فصيح ومن اسباب هذه المشكلة ما يلي"

◆النقص في المعاجم العربيةبأنواعها المختلفة والفراغات في المصطلحات العربية والافتراض المباشر للكلمات الاجنبية خاصة ان كان بلا قيود واختلاف طرق الوضع للمصطلحات العربية وعدم التنسيق او الاتفاق على مبادئ التقييس والمراجعة واتساع اللغة العربية واقطارها وخضوع الاقطار العربية في مراحل من تاريخها لأنظمة وسيطرة اجنبية والاجتهاد الشخصي والفردي بلا تنسيق واختلاف مصادر الترجمة والاصول الثقافية للمترجمين في مجال المصطلحات واختلاف لغات المصطلحاتالاصلية الدولية التي تقوم بوضع مقابلات عربية لها[15].

- اهمال العديد من الباحثين والمنشغلين بتدريس المصطلحات لجوهر هذه القضية واهميتها وبالتالي يساهمون في اضطرابها وعدم بلوغها لهدفها السامي.
- ازاء هذه الدعوة الى التوحيد نجد فريقا من الباحثين يقر بمنطقية الفوضى الاصطلاحية حيث يعتبر عبد الله الخطيب ان البحث عن توحيد المصطلح هو ضرب من العبث "لان الله وحده القادر على ايقاع الائتلاف بين الناس" ويلقي اللوم على دعاة التوحيد بقوله "ومن عجائب زماننا هذا ان اللجان الموكلة بالتعريب تسعى الى توحيد المصطلحات الحديثة وغيرها في جميع البلاد العربية [16] وينخرط هذا الموقف في مدار احباط العزائم من جهة والتخفيف عن اصحابها من جهة ثانية حيث يدعو اعداء توحيد المصطلح الى قبول الفوضى الاصطلاحية ولا يميزون بينها وبين مقولة الاختلاف ويتعارض هذا الموقف مع شرط اساسي في قيام المصطلح وهو التواضع والاجماع ايضا.

• فالملاحظ ان هذا الموقف ان دل على شيء انما يدل على فظاعة الوضع الاصطلاحي عامة لأنه يتنافى نسبيا مع مواقف اخرى تخفف من حدة هذا الوضع بدعوى ان البحث عن المصطلحات شان لا تختص به اللغة العربية فقط ويعبر عن هذا الراي كل من شحادة خوري ومحمد رشاد الحمزاوي فيما يلي _اذ يورد الخوري رايه كالاتي" ان البحث عن المصطلح الجديد ليس شانا خاصا باللغة العربية وحدها بل هوشان اللغات جميعا ذلك ان كل لغة في العالم مدعوة للتعبير عن المعاناة المتجسدة والدلالة على المستحدث في كل علم وفن"[17] ويرى الحمزاوي ان "اضطراب المصطلحات وغموضها وتكاثرها ليس خاصية من خصائص العربية فهي قضية موضوعة في كل اللغات وذلك حسب نصيب كل لغة من تراثها ومن العلم الحديث باعتبار انه توجد لغة تعطي ولغة تأخذ فالعربية اليوم تأخذ ولا تعطي كما الفرنسية تأخذ الكثير من الانجليزية والروسية مثلا."[18].

فبهذا نرى ان الرأيان يكشفان وضعا علميا موضوعيا كثيرا ما لهج به انصار الاضطراب الاصطلاحي وتشيع له بعض الباحثين كلما اشكل المصطلح واستعصى عن الترجمة ان افتقار المصطلح الى التوحيد والدلالة الصحيحة ادت الى نفور المختصين والقراء على السواء من مطالعات الكتب العربية لما تتخبط فيه من فوضى اصطلاحية قد تضر بالمصطلح الاصلي فتحرف عن محتواه وتجعله مستهجنا خارجا عن دائرة الاستعمال.

ازاء هذه الوضعية بات من الحيوي التفكير في انجاز معجما للمصطلحات العربية يراعي نواقص المعاجم الموجودة ويتدارك النقص الفظيع الذي يعيشه الخطاب والادب العربي بكل تخصصاته.ولعل من الاسباب التي ادت الى التشتت وتجذيره –ايضا- وجود المترادفات الكثيرة الدالة على مفهوم واحد ويمكن ان تعد المترادفات سببا ومظهرا للتشتت في ان واحد وقريب من الترادف ايضا ظاهرة المشترك اللفظي. اذ قد يطلقون مصطلحا واحدا على عدد من المفاهيم ومقابل عدد من المصطلحات الاجنبية بسبب عدم الوضوح والدقة كإطلاق كلمة (ساحل او شاطئ او شاطئ او شط) بلا تفريق مقابل المصطلحات الاجنبية التالية - وهي ترمز –في لغاتها- الى مفاهيم ثلاثة مختلفة.[19](littoral –shore – cost).

ومن ابرز ما تحيلنا اليه هذه الاسباب مشكلة الاخطار الناجمة عن التشتت وعدم توحيد المصطلح فالتشتت يؤثر في التفكير العلمي والادبي العربيين فهو يعيقه ويؤدي به الى عدم استيعاب المفاهيم المستجدة وبالتالي ابعاده عن الابداع والتقدم ومجاراة العالم في

بحوثه واستكشافاته زد الى ذلك انتشار الفوضى والاضطراب في العمل و التفكير العربي بل قد يوقعنا تعدد المصطلحات وعدم توحيدها في التناقض والخطاء احيانا.[20]

ضف الى ذلك ظاهرة الخلط الواقع في اطلاق المصطلحات المتعددة المترادفة لدى القدماء في تراثنا ايضا وما سببه من خطاء علمي فيما بعد في قضايا نحوية ولغوية وهذا ان دل على شيء انما يدل على ان ما اوقع القدماء وبعض المحدثين في ذلك انهم اعتمدوا - احيانا- الدلالة اللغوية في استخدام مصطلحاتهم فعدوها كلمات عادية ولم يفرقوا بينها وبين المصطلح- كما فرق المصطلحيون حديثا – وبالتالي لم ينتبهوا الى العلاقة المنطقية القائمة بين المصطلح (الرمز اللغوي) ومفهومه (الدال والمدلول) ومن اجل القضاء على هذه الظاهرة (ظاهرة الاستغناء) ومن ثمة المحافظة على المصطلحات السليمة وتحديد مفاهيمها وتفادي الخلط والاضطراب والخطاء لا بد من مراجعة المصطلحات التراثية ايضا على هدي مبادئ علم المصطلح وتقييسه. وفي هذا المقام لا يسعنا الا ان نضرب مثلا من الادب العامي او الشعبي كما هو معروف قصد استبيان هذه المسالة وشرح المقصود من موضوعنا حول اشكالية المصطلح وتحديد مفهومه ويتمثل هذا المثال في الحكاية الشعبية على سبيل الذكر فمثلما هو الحال في معظم الحقول البحثية والنقدية العربية لم تسلم الدراسات الادبية الشعبية في العالم العربي ايضا من ظاهرة التشويش السلبي في تداول المصطلحات الواصفة لمختلف انواع السرد الشعبي حيث يجد الباحث نفسه في هذا المجال في مواجهة ما يشبه فوضى المصطلح بسبب ما يلقاه من بلبلة واضطراب في توظيفه لدى معظم الباحثين العرب في الادب الشعبيوعليه نرى انه يحتاج لدى جمعه الى تبويبه ضمن فئات فنية نوعية يمكن حصر مفرداتها المصطلحية ومفهوماتها التحديدية من خلال استيعاب مكوناتها الأجناسي ولعل هذا الاضطراب يدعونا الى ضرورة اعادة النظر في كيفية جمعه وضبطه وتبويبه وتصنيفه وارشفته على اسس مغايرة وواعية بحقيقة هذه العمليات والياتها ومناهجها كلها.

ومن اجل اقناع القارئ سنورد حالتين حول عدم توحيد المصطلح وفوضويته لنستشهد بهما حيث تتمثل الحالة الاولى في الكاتب نمر سرحان لما يقع في اضطراب بين حين يسمي (الحكاية العجيبة) تسمية تتعلق بجزء منها فقط ويقصد (حكاية الخوارق) وفق ما يبدو من تعريفه للحكاية العجيبة بقوله "نعني بحكايات الخوارق تلك الحكايات التي تتضمن جزئيات ذات مضمون خارق للعادة ومثل ذلك تلك الجزئية المتكررة في الكثير من حكايات الخوارق عن قدرة الغول على حمل الانسان

آمادا بعيدة قبل ان يرتد اليه بصره او في غمضة عين "ثم يعود فيفرعها الى انواع ذات مصطلحات خاصة (حكاية الغيلان)/(حكاية الجن)/(حكاية السحر) وينسى ان الغول ومعه عنصرا الجن والسحر ما هي الا عناصر خارقة في الحكاية العجيبة والحقيقة انه هنا لا يزال في صميم استعمال تعريفه الحكاية العجيبة على اعتبار ما ذكره عن (حكاية الخوارق)لا يعدو ان يكون عنصرا واحدا من عناصر الحكاية الشعبية التي تتوالى في تعريفاته تلك كما يتبين من قولهمثلا معرفا بما سماه (حكاية الغيلان).

"حكاية الغيلان حكاية متواترة بالرواية الشفوية جادة غالبا وتتركز الاحداث حول بطل او بطلة وغالبا ما يكون البطل فقيرا او مضطهدا او يتعرض لامتحان عسير تتوقف عليه حياته او حصوله على فتاة احلامه او على دواء غريب لعزيز لديه وبعد سلسلة من المخاطرات يقوم بها ذلك البطل بشجاعة او يمر بها بهدوء نتيجة لطيبة نواياه او حسن حظه فانه وبعد ان تلعب (الخوارق) دورا ملموسا يستطيع ان يصل الى غرضه فيحضر الدواء او يجتاز الامتحان وبعد ذلك وفي الغالب فانه يحصل على كنز او فتاة رائعة الجمال او الاثنين معا ويعيش حياة سعيدة الى النهاية وفي العادة فإننا نلاحظ الغول شخصية اساسية في هذه الحكايات وهو يؤثر بالإيجاب او السلب على احداث القصة ويساعد على تطويرها سواء كان في جانب البطل يعاونه ويسهل له الصعاب ام في المعسكر المعادي يهدد حياة ذلك البطل او يحول دون حصوله على مبتغاه".

ولا يحتاج الامر هنا الى كثير من العناء لنبين مدى الخلط الذي وقع فيه الباحث لكون جميع العناصر الواردة في هذا التعريف تتعلق بنوع قصصي شعبي معين هو (الحكاية العجيبة) ولهذا فان التعاريف التي ساقها ل(حكاية الغيلان) و(حكاية الجن)و(حكاية السحر) ليست في الحقيقة الا تعريفا متكاملا للحكاية العجيبة سيما وانه يمكننا ان نستبدل عنصرا الغول والجن بغيرهما دون ان يحدث اي اضطراب فيما اطلق عليه (حكاية الغيلان) /(حكاية الجن) اما السحر فهو في اساس الحكاية العجيبة والادهى انه يستعمل مصطلحات اخرى في السياق نفسه هي (القصص الخرافي) و(الحكاية الخرافية الشعبية) و(الحكاية الخرافية) [21].

اما الحالة الثانية فتبدو جليا عندما تختلط المصطلحات المختصة ب (الحكاية العجيبة) على الدكتور عبد المالك مرتاض فيضطرب بين مصطلحات (الحكاية الخرافية) و(الحكاية الخارقة) و(حكايات الخوارق) و(الخارقة)على الوجه الذي توضحه هذه الفقرة "ولعل اشهر هذه المناهج الخاصة بدراسة الحكاية الخرافية

اطلاقا منهج العالم الفلكلوري الروسي فلاديمير بروب المعروف بالمنهج المورفولوجي وهذا المنهج يقوم على اعتبار العناصر الثابتة والدائمة في الحكاية الخرافية انما هي في الحقيقة وظائف الشخصيات ذاتها كيفما كانت هذه الشخصيات داخل الحكاية الخارقة وكيفما كانت الكيفية التي يتم بمقتضاها القيام بهذه الوظائف وفلاديمير يرى ان الوظائف هي الاجزاء المشكلة اساسا لحكاية الخوارق والعناصر الثابتة المشكلة للخرافة تبلغ عنده زهاء خمسين ومائة عنصر وقد اهتدى الى هذا العدد بناء على دراسة اقامها على مجموعة من النصوص الحكائية الروسية اما عدد الوظائف التي تطرد في جميع الحكايات الخرافية جملة حسب رايه لا تتجاوز احدى وثلاثين وظيفة "[22] والامر نفسه له بالنسبة لنمط شعبي ثان حيث يطلق عليه (حكايات حول الحيوان) و(حكايات الحيوان) ثم يعود فيسميه خرافات الحيوان في المصدر نفسه .

و من الاسباب التي ادت الى اضطراب المصطلح في الادب الشعبي ما يلي"

- طبيعة الاختلاف المميزة لحقل العلوم الانسانية التي يصعب –مع صفة النسبة التي تميزها – ادعاء الحقيقة من منظور احادي لا سيما اذا تعلق الامر بعملية استنبات لمفاهيم ومصطلحات وصفية منقولة عن لغات اجنبية مختلفة في طبيعتها وخصوصيتها عن اللغة العربية.
- عدم استجابة الابداع الشعبي للحرفية والكلام وخضوعه للاتجاه الذي رسمه د عبد الحميد يونس في كتابه الرائد "الحكاية الشعبية "مما يسلب الباحث امكانية الضبط الدقيق لثوابته والقدرة على حصر مصطلحاته وتعليل اختيارها.
- مرور الدراسة الادبية الشعبية بمرحلة التأسيس عربيا اذ انها لم تجد تراكما مهما تستفيد منه الامر الذي يترك الباب مفتوحا للاجتهادات الشخصية المتضاربة وكذا الاكتفاء بتلقي اجتهادات الاخرين من غير ما تمحيص .فالدكتور عبد الحميد بورايو مثلا يبرز تفضيله لمصطلح "الحكاية الخرافية" بقوله "نقصد بالحكاية الخرافية ذلك الشكل القصصي ذا الطابع العالمي الذي يطلق عليه دارسو الفلكلور في العالم مصطلح Conte merveilleux

وقد استخدم الباحثون العرب لتعيينه مجموعة من التسميات من بينها " الحكاية العجيبة - الحكاية السحرية- الخرافة" وقد فضلنا الحكاية الخرافية نظرا لشيوعه في الابحاث الجامعية الرائدة في ميدان الدراسات الشعبية العربية) – ومع هذا وذاك فلقد تحسس بعض الباحثين صعوبة تحديد المصطلحات وضبط المفاهيم

واستطاعوا تجاوز ذلك الخلط في المصطلح الشعبي وضرورة تخصيص كل نوع من الانواع القصصية الشعبية المتعددة بمصطلح معين ودقيق التحديد والدلالة وبالتالي تسهل عملية تصنيف القصص الشعبي الى اصناف محددة وبأشكال ومضامين خاصة.

ونجد في هذا المجال الد كتورة نبيلة ابراهيم تستشعر هذا الخلط الحاصل بين مصطلح "الحكاية الشعبية" الذي يقصد به القصص الشعبي اطلاقا وهو مصطلح دال على نوع سردي محدد ونرى ضرورة تسمية كل نوع من انواع السرد بمصطلح يختص به ويميزه عن سائر الانواع الاخرى[23].

وهذا الباحث داوود سليمان الشويلي يلح على ضرورة اخد الحذر وتوخي الدقة في تحديد المصطلحات القصصية الشعبية نظرا للاختلافات القائمة بين انواعه.[24] .اما احمد مرسي فانه يعي بحق نسبية المصطلحات السردية الشعبية ويرى ان سبيل التغلب عليها هو تظافر جهود الدارسين وبالتالي الوصول الى التحديد الدقيق للمصطلح الشعبي [25]. اما عز الدين اسماعيل فيعترف خلال حديثه عن الناحية الشكلية في القصص الشعبي بان" مشكلة المصطلح ما تزال هي مشكلة العلوم الانسانية التي تتسع مجالاتها مع الزمن وتتداخل " ثم يقرر ان المصطلح السليم هو الذي يرتبط عادة بالموضوعات ومنهج البحث .[26]

اما مظاهر اضطراب المصطلح في الحكاية الشعبية فتتبلور فيما يلي:

- ✓ اختزال كل الانواع القصصية الشعبية جميعا في مصطلح واحد هو الحكاية الشعبية او القصص الشعبي دونما تمييز لبعضها البعض.
- ✓ استعمال مصطلحات (الحكايات – الحكاية الشعبية – القصص الشعبي – القصص الشعبية – القصة الشعبية – الاساطير – الاسطورة – الخرافة)للدلالة على السرد الشعبي عامة.
- ✓ اطلاق مصطلحات (الحكاية الخرافية – الحكاية الخارقة – حكايات الخوارق – الخارقة – حكايات الجن الخارقة – حكاية الجن - حكايات السحر – الحكاية العجيبة – القصة العجيبة –القصة الخرافية – القصص الخرافي – الخرافة – خرافات الجنيات – حكايات خرافية – الحكاية الخرافية الشعبية – الحكاية الشعبية – حكايات العفاريت – الحكاية الفلكلورية)على نوع قصصي واحد هو الحكاية العجيبة.

✓ تداول مصطلحات (حكايات الواقع الاجتماعي – الحكاية الاجتماعية – حكايات الحياة اليومية- حكايات الحياة المعاشة – الاسطورة الاجتماعية – الحكاية الواقعية- القصص الشعبي الواقعي – الحكاية الشعبية)للدلالة على نوع سردي اخر هو الحكاية الشعبية باعتبارها نوعا قصصيا مخصوصا مثل غيره من الانواع الاخرى.

✓ تخصيص مصطلحات(القصص الخرافي – الخرافة –حكايات الحيوان الخرافية –حكاية الحيوان – المثل الخرافي – حكايات الحيوانات – حكايات حول الحيوان – القصص الحيواني – المثل - المثل الحيواني - فابولات الحيوان – اساطير الاطفال) بنوع قصصي شعبي مختلف عن سابقيه هو ما عرف في تراثنا العربي بالخرافة.

✓ نعت الحكاية المرحة بمصطلحات(النادرة – الحكايات الهزلية- الخرافات الهزلية – القصص الفكاهية – الحكاية المرحة) وحبذا لو التزم هؤلاء الباحثون مصطلحات سردية شعبية معينة مما عرضناه وتداولوها وحدها بعيدا عن التعدد والتخلط اذن لكان الامر اهون لكن ما حصل انهم تستعملون مصطلحا هنا واخر هناك وهم يقصدون نوعا قصصيا شعبيا واحدا الامر الذي ادى الى بلبلة وفوضى المصطلحات القصصية الشعبية عندنا.

بعد عرض هذه المشكلة وذكر اسبابها ومظاهرها واخطارها نجمل اهم سبل تحديد المصطلح العربي اولا ثم الشعبي وهي:

أ. سبل تحديد المصطلح العربي

اولا: يجب على الباحثين والمتخصصين في علم المصطلح القيام بدراسة وصفية ميدانية للمصطلحات المتعددة المترادفة على مستوى الاستخدام في الوطن العربي وتطبيق مبادئ التقييس وشروط المصطلح المتفق عليها اضافة الى تسجيل نسبة شيوع كل منها وسنة بدء استخدامه ثم الموازنة بين هذه المصطلحات المترادفة المتعددة على اساس المعلومات المتوافرة لاختيار المصطلح المفضل على اسس علمية ولغوية واجتماعية دقيقة ثم توثيقه للتوصية باستخدامه ونشره والاقتصار عليه واستبعاد المستهجن منه وهذه العملية تسمى العملية المعيارية الفرضية.

ثانيا: ينبغي ايضا معالجة قضية تحديد المصطلح ونشره على ثلاث مستويات وهي:

- المستوى القطري: اذ نجد تعددا في استخدام بعض المصطلحات بين ابناء القطر العربي الواحد لغير سبب.
- المستوى الاقليمي: ونقصد به توحيد المصطلح على مستوى مجموعة من الاقطار العربية بينها تشابه او تقارب مثلا في الظروف اللغوية او التاريخية او الجغرافية كأقطار المغرب العربي مثلا ثم على مستوى اقطار المشرق العربي ثم على مستوى دول الجزيرة العربية مثلا ان كاب ذلك مفيدا.
- المستوى القومي: وهو توحيد استخدام المصطلح المتفق عليه في جميع اقطار الوطن العربي ومن الواجب ان يتم توحيد المصطلحات العربية وفق سياسة موحدة في الوضع والتقييس والاختيار المتفق عليه وذلك بعد دراسة طاقات اللغة العربية بتراثها العلمي المتنوع واللغوي والادبي ومعاجمها اللغوية لتسجيل المصطلح النافع في هذا المجال والاحتفاظ به في الحاسوب تحت الطلب او جمعها في مدونات معجمية بمنهجية منظمة ومحكمة تضمن للعلم العربي وحدته الفكرية والثقافية.

ثالثا: يجب الاتفاق على منهج موحد لوضع المصطلحات اللغوية ومتى نستخدم هذا وذاك وما شروط كل منها ومواصفاتها حتى يكون عمل اللجان المختصة موحدا ومتوائما يسهل جمع منظومات مصطلحية تجمع بينها علاقات مفهومية اولا وعلاقات لغوية في الجذر او الصيغة او الاشتقاق او المجاز او النحت او الاقتراض او غير ذلك وفق شروط تراعى في كل طريقة [27] وبالتالي نكون قد توصلنا الى منهج ومذهب لغوي موحد ونطبقه تطبيقا صارما ودائما .

رابعا: تشجيع التأليف والابداع والانتاج العلمي العربي ودعمه قصد ايجاد نظريات علمية عربية بمصطلحات عربية اصيلة ومحضة لا نحتاج الى مراجعتها او الى تعريبها كالأجنبية ويتبع ذلك تعريب التعليم الجامعي والعام وتوحيد مناهجه ومواده وكتبه ومناحي الحياة والفكر الاخرى وبالتالي يتوحد الابداع والانتاج العلمي في الوطن العربي ويكثر مما يؤدي الى ازدهار ورقي اللغة العربية.

خامسا: ضرورة جمع المصطلحات المترادفة المتعددة على مستويين

أ. مستوى الاستخدام العلمي الخاص بين المتخصصين والعلماء في البحوث والمؤلفات وترجمة المصطلحات.

ب. مستوى الاستخدام الشعبي العامي العام في الوطن العربي ثم محاولة معرفة نسبة شيوع كل منها على المستويين كل على حدى.

سادسا: يجب على كل الدول العربية الالتزام بمفاهيم المصطلحات المحددة بعد التنسيق والاتفاق مع بعضها البعض وتتولى تعريب المصطلحات الاجنبية بدقة ثم عرضها على اجتماعات عمل مكثفة عامة ومشتركة لدراستها ومناقشتها واقرارها ثم التوصية باستخدامها وتعميمها قوميا ومتابعة ذلك والتزامه بصدق واخلاص.

سابعا: انشاء منظمة معرفية عربية واحدة للمفاهيم وتعريفاتها ومصطلحاتها وانشاء شبكات له في جميع الدول العربية لتخدم التوجه التوحيدي في هذا المجال مع امكانية الاستعانة الواسعة والحثيثة بال(انفو تارم) – المنظمة العالمية للمصطلح – والمؤسسات العالمية الاخرى المختصة واستغلال الاتصالات المعرفية المتطورة وشبكات المصطلح والمفاهيم العالمية وطلب الخبرات والتدريب كلما كان لازما.[29]

ثامنا: نشر الوعي المصطلحي والثقافة المصطلحية ببيان اهمية المصطلح وتعريبه وطرق وضعه وتدريب لغويين ومتخصصين في هذا المجال وتدريس مقرراته في الجامعات والاقسام المختلفة كل حسب تخصصه والمبادرة بفتح معهد خاص لتدريس علم المصطلح يمنح الشهادات العلمية المتخصصة والمعترف بها عالميا وتعقد فيه الدورات التدريبية اللازمة وتجرى فيه البحوث المصطلحية النظرية والعلمية والتطبيقية وتقدم فيه الاطروحات العلمية لنيل الشهادات العليا.

تاسعا: تكوين لجان وطنية محلية متخصصة للعمل المصطلحي في جميع الدول العربية [30] تنبثق عنها مجموعات عمل على غرار (لجنة نورمان للمصطلح في المانيا مثلا ومجموعات العمل المنبثقة عنها)[31] على ان يكون التنسيق عاليا بين هذه اللجان الوطنية المحلية على مستوى الوطن العربي.

ب. سبل تحديد المصطلح الشعبي:

○ لا بد من التحديد الاجناسي للتمييز بين انواع القصص الشعبي سيساعد كثيرا على اعادة جمع القصص الشعبي في اطار منظم يتم تبويبه ضمن انواع سردية شعبية محددة تمتلك كل مكوناتها البنيوية المخصوصة ومقصديتها الوظيفية ودلالاتها الاجتماعية.

o ان لا نترك المجال للعامة لوضع مصطلحات اعتباطية وربما عامية وعلى مسؤوليتها من غير عناية او معرفة بمفهوم او مصطلح او منظومات مفهومية او مصطلحية فان وضعوا شيئا من المصطلحات صعبت مقاومته ووقف انتشاره وتلجا العامة - عادة- الى ذلك اذا تهاونت الهيئات المختصة في وضع المصطلح لأي مفهوم بالسرعة الممكنة لان العامة ستضع آنذاك تحت ضغط الحاجة الى التعبير عن المفاهيم التي تستحدث ولو بمصطلحات سقيمة او عدد من المصطلحات المتعددة مع اعاد فحص المصطلح الموروث والعمل على امكانية اعادة تشغيل وتداول بعض مفرداته تجنبا للقطيعة الحاصلة في الوقت الحاضر بين المصطلح الموروث والمصطلح الحديث.

o اعتماد مصطلح (القصص الشعبي) بدلا من مصطلح (الحكاية الشعبية) الملتبس وذلك لازدواجية الدلالة في المصطلح الثاني وتوقا لتقريب الهوة بين القصص الرسمي والقصص الشعبي من حيث الاشتراك في مصطلح –القصص- الدال على ما يتوفر عليه النمطان من عناصر تخيلية وجمالية عالية اضافة الي مبرر شيوع مصطلح (القصص الشعبي) بين معظم الباحثين العرب ناهيك عن معيار المقارنة مع المصطلح اللاتيني الذي يعني القصة الشعبية تحديدا. conte populaire

o تعويض مصطلح (الحكاية العجيبة) لمصطلح (الحكاية الخرافية) نظرا لانبناء هذا النوع من السرد الشعبي في جوهره على ما هو عجيب ومدهش (بطولات خارقة –احداث فوق طبيعية – شخصيات غير مرئية او مسحورة – فضاءات غريبة مؤسطرة – ازمنة غير منطقية.....)علما بان مصطلح (الحكاية الخرافية)يحيل على نوع سردي شعبي اخر مختلف هو (الخرافة) حيث الاهتمام بترميز الطبيعة بكل مكوناتها من غير ان نهمل مبرر المرادف اللاتيني الذي يعني (الحكاية العجيبة) ومعناه العجيب. conte merveilleux

o يحل مصطلح (الحكاية الشعبية) محل مصطلح (الحكاية الواقعية) وما شابه لكون مدار هذا النوع السردي الشعبي هو مدار واقعي اجتماعي اخلاقي تاريخي داخل المجتمع الشعبي فصفة (الشعبية) تستوعب كل هذه العناصر.

o يكرس مصطلح (الحكاية الخرافية) المستقى من المصطلح التراثي (خرافة) للدلالة على ما يسميه البعض (حكاية الحيوان) وما الى ذلك بسبب عدم شموليته والمنحصر في عالم الحيوان بينما يشمل هذا النوع كل مظاهر الطبيعة ومكوناتها من حيوان وغيره.

- اقتراح مصطلح (الحكاية المرحة) بدل (الحكاية الفكاهية) وغيرها على اعتبار ان هذا المصطلح يستوعب اهم ما في المصطلحات الاخرى وهو صفة المرح سيما وان مصطلح (الحكاية المرحة) يدل على المرح بشكل صريح ومباشر بلا لبس او غموض.وبهذه الاقتراحات والحلول تصبح لدينا خمسة مصطلحات محددة ودالة لتمييز اهم الانواع السردية الشعبية وهي كالتالي.
- القصص الشعبي – يختص بجميع الانواع السردية الشعبية بلا استثناء .
- الحكاية العجيبة – هي النوع السردي الشعبي ذو العوالم العجائبية .
- الحكاية الشعبية - هي النوع السردي الشعبي القائم على مفارقات الحياة اليومية الواقعية بأسلوب جاد ولغاية اخلاقية.
- الحكاية الخرافية – هي النوع السردي الشعبي الدائر في عالم الطبيعة بأسلوب رمزي لغاية تعليمية محضة.
- الحكاية المرحة- هي النوع السردي الشعبي القائم على مفارقات الحياة الاجتماعية الواقعية لكن بأسلوب مرح مسلي وناقد.

وفي الاخير نامل ان تحظى هذه الخطة بالاهتمام والدراسة وترى النور وان تجد طريقا وفرصة للتطبيق لعلها تكون خطوة علمية نافعة وصارمة تقف كحاجز في وجه هذه المشكلة العلمية الحضارية القومية.

مصادر ومراجع البحث:

[1] الشريف الجرجاني/ (التعريفات) (بتصرف= المكتبة التجارية الكبرى /القاهرة. وايضا- معجم اللغة العربية بالقاهرة (المعجم الوسيط كلمة - اصطلاح) ط .1963

[2] محمود فهمي حجازي /الاسس اللغوية لعلم المصطلح /دار غريب للطباعة والنشر / مصر/ دت/ ص 12.

[3] ينظر احمد ابو حسن /المصطلح ونقد النقد العربي الحديث / مجلة الفكر العربي المعاصر / العدد 60- 61 / ص 84.

[4] انظر سلسلة المقالات الاتية:

- د. الحبيب الجنحاني / العربية والتيارات الفكرية المعاصرة/ مقالة في كتاب "دراسات في اللغة والحضارة"/وزارة الشؤون الثقافية / تونس 1987.
- د .مفيق دوشق / دور اللغات القومية في الدراسات العليا والبحث العلمي / بحث في مجلة مجمع اللغة العربية الاردني / العدد 27/ كانون الثاني /حزيران/1985/عمان –الاردن.
- د. عبد القادر المهيري/ من قضايا العربية في عصرنا / مقالة في مجلة المعجمية العربية بتونس/ العدد الاول /تونس 1405ه- 1985 م.

[5] احمد ابو سعد / قاموس المصطلحات والتعابير الشعبية / مكتبة لبنان /ط 1/بيروت /1978 ص 16.

[6] HULMET FILBER /standardization of terminology/vienna-1985 /P17.

[7] F.R PALMER/semantics /Cambridge university press/2END ED 1981P14.

[8] يوسف الطعاني / اللغة كإيديولوجيا / مقالة في مجلة الفكر العربي المعاصر/ع 2/شباط 1991. ص76 (بتصرف).

[9] د. محمد رشاد الحمزاوي/العربية والحداثة– او الفصاحة فصاحات /منشورات المعهد القومي لعلوم التربية / تونس /1982 ص106.

[10] عبد السلام المسدي /تأسيس القضية الاصطلاحية / بيت الحكمة/قرطاج/ /1989/ص 7.

[11] قاسم محمد المومني /ما هو المصطلح /المصطلح النقدي في النقد المقارن "مجلة الفكر العربي المعاصر " العدد 102- 103/ص83.

[12] سمير غريب /الفن الحديث والحداثة في الفن –مصطلحات في ازمة "مجلة عالم الفكر "/العدد الثاني – اكتوبر- ديسمبر/ 1997/ص 40.

[13] د محمد رشاد الحمزاوي /مقالة "توحيد المصطلحات في البلاد العربية " مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق/11/157- 161.

[14] احمد ابو سعد (المصدر نفسه) ص10- 11 بتصرف.

[15] احمد غزال الاخضر/ المنهجية العامة للتعريب المواكب / معهد الدراسات والابحاث للتعريب /الرباط/المغرب/ يناير - 1977 ص19- 26- 38.

[16] عبد الله الخطيب /في المصطلح النقدي والبلاغي "بحث منشور بمجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية بفاس" عدد خاص /1988/ص242.

[17] شحادة خوري /الترجمة قديما وحديثا/ دار المعارف – سوسة/تونس/1989 /ص148.

(18) د محمد رشاد الحمزاوي /المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها وتنميطها /دار المغرب الاسلامي /ط1/1986/ص47.

(19) احمد غزال الاخضر (المصدر نفسه) ص25- 26.

(20) محمد رشاد الحمزاوي / العربية والحداثة او الفصاحة فصاحات/ص85.

(21) نمر سرحان / الحكاية الشعبية في فلسطين /مركز الابحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية والمؤسسة العربية للدراسات والنشر /العدد 52/بيروت /1974/ص59.

(22) عبد المالك مرتاض / مناهج البحث في الحكاية الخرافية / مجلة التراث الشعبي العراقية /العدد 8- س8- 1977/ص5.

(23) د.نبيلة ابراهيم/اشكال التعبير الشعبي / دار النهضة للطبع والنشر /مصر/القاهرة ط2 /1974.

(24) داوود سليمان الشويلي /القصص الشعبي العراقي في ضوء المنهج المورفولوجي /دار الشؤون الثقافية العامة /بغداد /1968/الموسوعة الصغيرة.

(25) احمد مرسي /المفهوم العام للقصص الشعبي /مجلة التراث الشعبي/العدد الاول /1987.

(26) عز الدين اسماعيل / القصص الشعبي في السودان/طبعة دار الشؤون الثقافية / بغداد /د.ت.

(27) د محمد حلمي هليل /خطوات نحو تقييس المصطلح اللساني في الوطن العربي / بحث مقدم الى ندوة "التقييس والتوحيد المصطلحيان في النظرية والتطبيق /تونس /13- 17مارس/1989/ص 10- 24.

(28) HULMUT FILBER /guidelines on national terminology –planning policy/Vienna 1986. -غالب فريحات the structure of contenporary scientific terminology in arabic/ رسالة ماجستير (مخطوطة) مركز اللغات /جامعة اليرموك/1989ص56-59.

(29) قد شكلت لجنة للعمل المصطلحي في الاردن سنة1987 وانبثقت عن وزارة التجارة والصناعة الاردنية ولكنها لم ترى النور لإحالة مدير الدائرة المعنية بعد ذلك بمدة قصيرة على التقاعد وربما لأمور اخرى لا نعرفها.

(30) فيلبر 1985 ص 12.